النهار
الجمعة 28-01-2011 العدد 24288
16

دو سوسير وكوكبة الألسنيين ومتري بولس

(إلى جرجورة وهنري وأهيف)

1 - الزمن العالق:

يقوم مدخل المعهد عند انحناءة القنطرة في نهاية الممشى المعبّد بالحصى، وشارع مونو لم يكن بعد قد ارتكب الحانات والخمّارات والسمر. يستقبلك لجهة اليمين مكتب المدير ميشال آلار اليسوعي، يقابله لجهة اليسار مكتب امين السر فرنسوا تراك، وتتوالى بعده قاعات التدريس، يدلف اليها عند الثانية والنصف الطلاّب في انتظار معلم يدلّله، على حدّ سواء، المدير وامين السرّ وثالث يعرف بالاستاذ الزائر اسمه اندره رومان. والمعلّم ممشوق، ضامر، انيق بنظّارتيه، وربطة عنقه، والوان ملابسه الفامقة، وحقيبته الجلديّة السوداء، تربطه بالسيجارة الف قصّة وقصّة.

ذات يوم اصطحبه الاستاذ الزائر، مترجم بشار بن برد الى الفرنسيّة، فحوّل على مرأى منّا قصيدة بودلير الى العربيّة، وصار من ذلك الحين معلّم "مسائل الترجمة النظريّة"، يحاول تقريبها من طلاّبه في مثل حفل لطيف يجتمع فيه دوسوسير، وبلو مفيلد الى مارتينه ومونان، وكوكبة من هؤلاء الذين عرفوا في ستينات القرن الماضي باللالسنيين. ولم ينسَ المعهد ان يعلن عن منشوراته الفنيّة في خزانة زجاجيّة مستطيلة في بهو تدلّت من سقفه ثريّات من حديد اسود يؤدّي الى قاعة المحاضرات بمقاعدها الخشبيّة العريقة. ولكم ضمّ ذلك البهو في حلقات بهيّة حول المعلم المدلّل تارة : فؤاد افرام البستاني وبولس نويا اليسوعي، ومحمد الخطيب، ومدام بلان، ومدام باكيه، وتارة اخرى : جبور عبد النور، ومدام خرسندجيان، وبيتر هانس كولفنباخ اليسوعي، وسعيد البستاني، ثمّ في هدوء ينزل من طبقات المبنى قبل ولوج المكتبة الشرقيّة الضاربة في التاريخ اليسوعيّون لويس بوزيه ورينيه لافنان، ورولان مينيه.

والمعلّم بقدر ما هو قريب من جمهرة الاساتذة الكبار الذين رأوا فيه الابن البار فاطمأنوا الى نظرته وبحوثه، كان قريباً من الطلاّب، ومن شؤونهم اليوميّة ومن انتخاباتهم واضراباتهم وتجمّعاتهم ومشاركاتهم في التظاهرات والاحتجاجات، عشيّة اعداد مسرح الجريمة الذي ستعلّق عليه بيروت، تماماً كالسيد، يجلدها حسّادها ويقدمون لها المرّ، ثمّ يصلبونها ما بين اللصين.

وإن دخل ابن المعهد البار مكتب المدير واطال فيه أو خرج منه مسرعاً ليدخل على امين السرّ في مثل اطمئنان، فلا بدّ من محطة عند انطون ملحم رجل كلّ المهمّات، والارشيف المتحرّك قبل عصر الحاسوب والشاشة ولوحة المفاتيح.

2 - رياح الالسنيّة:

وكان المعهد بتلك الوجوه المشرقة ينبع بالجديد والحداثة، ويحاول بتوجيه من مديره ان يخرّج نخبة من معلمي العربيّة الذين يمتلكون اليها لغة ثانية وثالثة، وينتقلون من المعلم-الخطيب الى المعلم-المنشط، القادر على الاستماع، بمقدار قدرته على الكلام. فاشتعل المعهد بالمفاهيم الالسنيّة ترجمة وشرحاً وتبسيطاً ودخل الابن البار يوماً علينا بلائحة من مقابلات بين الفرنسيّة والعربيّة تتمحور حول البيت متوقّفاً عند خصوصيّة كلّ مفردة منها ودقتها، مميّزاً ما بين الكوخ، والشاليه، والدارة، والمثلجة، والتخشيبة، وما اليها. وكان التوجّه في الترجمة نحو ما يعرف بالترجمة اللغويّة القائمة على اساس المقارنة ما بين لغتين، وكانت الترجمة آنذاك مجرّد تمرين تطبيقي في عالم الالسنيّة التي حاولت، ولزمن طويل، ان تضع يدها على الترجمة فلا تعترف بها جمهوريّة قائمة بذاتها. ولم يشرح المعلم المدلل مفهوماً ألسنيّاً إلاّ وسعى الى تطبيقه على ادباء العربيّة، لاسيّما منهم صديق قراءاته وبحوثه ميخائيل نعيمه وأعضاء الرابطة القلميّة، وهو إن توقّف عند ثنائيّة اللغة زار مطوّلاً سليم عبو اليسوعي واستند اليه ساعياً الى تصنيف كتب القواعد ما بين التاريخيّة والوصفيّة والمقارنة والمعياريّة، محاولاً ان يجد المقابل لتسميات ألسنيّة شائعة بالفرنسيّة من مثل : الوحدة، والعلاقة، والتحوّل، والوظيفة، والتعاصر، والتعاقب الخ ... ولكم شدّد على مقولة انّ "المعنى يعبّر عن مفهوم عام شائع ما بين مجموعة مترادفات، ولكن لكلّ رمز لغوي ميزة من حيث قيمته بصفة خاصّة به"، من مثل اللائحة المتعلّقة بالموت وما اليه من: لقي حتفه، والوفاة، والتلاشي. أو الاخرى المتعلّقة بالماء : كالاوقيانوس والبحر والغدير والجدول والنهر الخ...

ولا اظنّ ان المعلّم المدلل، والابن البار لم يضمّ الى لائحة البيت مفردة المعهد، فالمعهد آنذاك كان بيته يحتلّ حيّزاً كبيراً من حياته، والمعهد - البيت تراه يسأل عن انحناءة قنطرته، إن لم تكن اصلاً مصنوعة من هامات تلك القامات التي اجتمعت يوماً في بهوة أمام خزانة المنشورات، او ان لم تأتِ حجارته الرمليّة من احداق من حملوه في مساماتهم وشفافهم!

هنري عويس

(*) يكرّم معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف الدكتور متري سليم بولس في لقاء في حرم العلوم الانسانية في الجامعة الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم.

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"